## الدرس السادس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الأجر والثواب في كتاب «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» :

**بابٌ قول الله تعالى {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ}**[الأعراف:١٩١-١٩٢] **وقوله : {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ}الآية**[فاطر:١٣].

**********

فهذه الترجمة وبعض ما بعدها من تراجم ساقها رحمه الله تعالى لبيان براهين التوحيد ودلائله وحججه ، ومن حكمة الله جل في علاه أن الأمر كلما كانت الحاجة إليه أشد والضرورة إليه ألزم كانت طرق تحصيله ووسائل معرفته ونيله أكثر وأيسر وأعظم ، ولما كان التوحيد هو الغاية التي خُلق الخلق لأجلها وخُلقوا لتحقيقها وهو أعظم الغايات وأجل المطالب وأنبل الأهداف؛ لما كان مقامه أعظم المقامات وأرفعها كانت براهينه أكثر البراهين ودلائله أكثر الدلائل . والمؤلف رحمه الله تعالى في هذه الترجمة وما يليها يسوق شيئاً من هذه البراهين العظيمة والدلائل العظيمة على وجوب إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وإخلاص الدين له والبعد عن الشرك كله دقيقه وجليله وصغيره وكبيره ، ومن هذه البراهين ما أورده رحمه الله تعالى في هذه الترجمة جاعلاً الآية الكريمة عنواناً للترجمة لدلالتها على المقصود فيها وهي قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢] .

فهذه براهين قوية جدًا وحجج واضحة على إبطال الشرك وإبطال كل تعلق بغير الله تبارك وتعالى . فانظر رعاك الله هذا التقريع والتوبيخ والزجر في هذه الآية الكريمة لكل مشرك أياً كان شركه وأياً كان تعلقه ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾؟ والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ والزجر وبيان غِلظ وشناعة هذه الفعلة التي فعلها هؤلاء وهي الشرك بالله سبحانه وتعالى واتخاذ الأنداد مع الله عز وجل.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ أي : أيتخذون مع الله شريكاً في العبادة وحال هذا الشريك أنه لا يخلق شيئا!! «شَيْئًا جاءت نكرة في سياق النفي فتفيد العموم أي : أيَّ شيء كان ولو كان شيئاً يسيرا أو أمراً قليلا ، لا يستطيعون خلْق أي شيء ، وتأمل في هذا قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾[الحج:٧٣] ، فمن يُدعى من دون الله تبارك وتعالى أياً كان هذا المدعو لا يخلق شيئاً ، فكونه لا يخلق شيئاً –ولا شيئا يسيراً أو قدراً قليلاً– هذا من أبين ما يكون في الدلالة على بطلان دعائه وبطلان التعلق به .

﴿ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ أي والحال أن هذا المدعو من دون الله تبارك وتعالى مخلوق لله ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشورا فضلاً أن يملك شيئا من ذلك لغيره ، لأن المخلوق مربوب مدبَّر متصرَّف فيه ، أمره ومآله وحاله بيد خالقه وسيده ومولاه ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ .

ثم أيضاً ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ أي : هؤلاء الذين يُدعَون من دون الله تبارك وتعالى أيًا كانوا لا يستطيعون نصرًا لمن دعاهم أو التجأ إليهم أو طلب معونتهم ، لا يستطيعون نصراً له لأنه ليس بيدهم شيء ولا يملكون من الأمر شيء ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ وأيضاً ﴿ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ ومن كان عاجزاً عن نصر نفسه فلأن يكون عن نصر الآخرين من باب أولى ، فإذا كان لا يستطيع نصراً لنفسه ولا يستطيع إنجاءً أو تخليصاً لنفسه فكيف يستطيع ذلك للآخرين .

فإذاً هذه براهين ؛ برهانٌ تلو البرهان على بطلان الشرك . إذاً إذا كانت هذه حال من يُدعَون من دون الله لا يخلقون شيئا ، وهم مخلوقون ، ولا يستطيعون نصر أنفسهم ، ولا يستطيعون نصر من التجأ إليهم ؛ إذاً كيف يدعون وكيف يلتجأ إليهم وكيف تصرف لهم العبادة فهذا من أبطل الباطل وأشنع الظلم . إذاً هذه براهين ودلائل واضحات على بطلان الشرك والتعلق بغير الله تبارك وتعالى .

ومثل هذه الآية قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [ فاطر:١٣-١٤] ؛ وهذه براهين قوية جداً على إبطال الشرك والتعلق بغير الله تبارك وتعالى .

قبلها قوله: ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ ؛ فكون الله تبارك وتعالى تفرَّد بالملك كله لا شريك له ، فالملك كله لله ، ومن سوى الله لا يملك مثقال ذرة –أي ملكاً استقلاليا– فالملك كله لله رب العالمين ؛ فهذا من الدلائل على وجوب إفراده بالعبادة ، فكما أنه تفرد بالملك وحده لا شريك له فالواجب أن يُفرد بالعبادة وحده لا شريك له ﴿ لَهُ الْمُلْكُ ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ ذُكر القطمير في هذا السياق بياناً لأن هؤلاء الذين يُدعون من دون الله ما يملكون شيئا ولو كان من أقل القليل أو من أتفه الأشياء ، فضلاً عن الأمور الكبار والأشياء العظيمة .

﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ والقطمير ومثله النقير والفتيل كلها أشياء ذُكرت في القرآن في الأمر الذي هو أقل القليل أو التافه من الأشياء ، وكلها تتعلق بنواة التمر ، هذه الثلاث القطمير والنقير والفتيل كلها تتعلق بنواة التمر؛ أما القطمير : فهو الغشاء الرقيق جداً الذي يكون على نواة التمر ، والفتيل : هو الخيط الذي يكون في وسط النواة ممتداً من طرفها إلى طرفها ، والنقير : في كل نواة تمر تجد في ظهرها نُقرة يسيرة جداً . فهذه أمثلة ثلاثة تضرب لأقل الأشياء؛ ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء:٤٩] ، ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء:١٢٤] ، ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر:١٣] هذه ثلاثة مواضع في القرآن ذُكر فيها هذه الثلاثة التي هي مثل لأقل الأشياء .

فالذي يدعى من دون الله ما يملك من قطمير أي : ما يملك شيئا ولو كان من أقل القليل ، والمراد بالملك هنا الملك الاستقلالي .

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ إضافة إلى أنه لا يملك فهو لا يسمع دعاء من دعاه ومناداة من ناداه والتجاء من التجأ إليه ، لا يسمع ذلك ، ولو قُدِّر أنه سمع شيئًا من ذلك ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ يعني لا يملك القدرة على إجابة دعاء من دعاه .

فهذه ثلاثة أمور تُعد شروطاً لابد أن توجد مجتمعةً فيمن يُدعى ، فإذا انتفت أو انتفى شيء منها لم يستحق أن يُدعى أو يُلتجأ إليه أو أن يُسأل

- فإذا كان لا يملك من قطمير كيف يدعى ويلتجأ إلى من لا يملك وليس بيده ملك ؟!
- وإذا كان لا يسمع دعاء من دعاه كيف يُدعى ويلتجأ إلى من لا يسمع أصلاً نداء من ناداه ودعاء من دعاه؟!
- والأمر الثالث : كونه لا يملك إجابة ولا يقدر على الإجابة ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ .

فهذه ثلاثة شروط ذُكرت في الآية لابد أن تكون متوافرة مجتمعة فيمن يُدعى :

١. أن يكون مالكاً .
٢. وأن يسمع دعاء من يناديه .
٣. وأن يكون قادراً على إجابة دعائه وإعطائه سؤله .

وهذه الأمور الثلاثة منتفية في حق من يدعون من دون الله؛ فكيف يدعَون .

إذاً هذه براهين واضحة وحجج ساطعة على إبطال الشرك وإبطال التعلق بغير الله تبارك وتعالى .

وهنا تأمل قوله ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي من دون الله ، فلا يستثنى في ذلك أيَّ أحد ، هذا شامل لكل من يُدعى من دون الله ، يجب أن يُتنبه لذلك ، هذا شامل لكل من يدعى من دون الله تبارك وتعالى أمْره كما ذكر الله ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ .

ثم تأمل المصيبة العظمى التي يجرها هؤلاء الذين يدعون غير الله على أنفسهم يوم القيامة ، قال : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي : هؤلاء الذين تدعونهم من دون الله تبارك وتعالى سيكونون يوم القيامة خصوماً ويكونون عليكم ضدا ، مثل ما جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥-٦] أي أن هؤلاء الذين يُدعون يتحولون إلى أعداء ، ويتبرؤون ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [البقرة:١٦٦] ، ويتبرؤون منهم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ .

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ هذا نبأ الله ، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ يعني نفسه تبارك وتعالى ؛ فهذا كلام الخبير بعباده ، العليم بخلقه ، المطلع على خفايا الأمور وبواطن الأشياء وحقائقها ؛ هذا هو كلامه سبحانه وتعالى وهذا بيانه . فإذاً هذه كلها براهين واضحة وحجج ساطعة على بطلان الشرك والتعلق بغير الله تبارك وتعالى .

وهذا الذي ذُكر أنَّ من يدعى من دون الله لا يخلق شيئاً لا يستطيع نصرا لنفسه أو نصراً لغيره وأنه لا يملك قطميرًا وغير ذلك من الأمور ؛ هذه لا تختص بنوع معين من المدعوين من دون الله أو ممن يدعَون من دون الله ، بل كل من يدعى من دون الله تبارك وتعالى فالأمر فيه كذلك ؛ ما يملك شيئا ، ليس له أياً كان من الأمر شيء ، الأمر كله لله ؛ ولهذا أخذ المصنف رحمه الله تعالى –وهذا من دقة علمه وجمال نصحه وتمام بيانه– أخذ يسوق أحاديث من سنة النبي عليه الصلاة والسلام يبين من خلالها أن النبي عليه الصلاة والسلام وهو في أشرف المقامات وأعلى الرتب وأرفعها وأجلِّ المنازل لا يملك شيئاً وليس له من الأمر شيء ، وأن الأمر كله بيد الله تبارك وتعالى .

**وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال : شُجَّ النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته . فقال: « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم » ؟ فنزلت : { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } [آل عمران:١٢٨] .**

**********

هذا الحديث حديث أنس بن مالك في الصحيح قال : ((**شُج النبي صلى الله عليه وسلم**))؛ أي في غزوة أحد أصابته صلى الله عليه وسلم ضربة تسببت في شجٍّ في رأسه عليه الصلاة والسلام ، وكان موضع الشج الذي حصل للنبي عليه الصلاة والسلام في جبهته لهذا يأتي في بعض الأحاديث ((شج في رأسه)) وفي بعضها ((شج في وجهه)) ، والشج في الجبهة ، والجبهة من الرأس ومن الوجه .

فشُج عليه الصلاة والسلام يوم أحد : أي أصابته من أعداء دين الله وأعدائه عليه الصلاة والسلام ضربةً في رأسه عليه الصلاة والسلام وشج رأسه وأخذ يسيل الدم من رأسه صلوات الله وسلامه عليه .

وأيضا إضافة إلى ذلك كُسرت رباعيته عليه الصلاة والسلام في تلك الغزوة . والرباعية : ما يلي الثنايا ، وفي الإنسان أربع رباعيات ، فمعنى كسرت رباعيته أي أنها ثُلمت لا أنها من أصلها ، وإنما أصيبت رباعيته أي إحداها إحدى رباعياته عليه الصلاة والسلام في كسر فحصل فيها ثُلم .

«كسرت رباعيته وشج رأسه» ؛ فهو عليه الصلاة والسلام لا يملك دفعاً ، ولهذا في التجائه إلى الله عز وجل إذا خاف من قوم قال : ((اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم)) ، ويقول ((أنت عضدي ونصيري وبك أحول وبك أصول وبك أقاتل)) ، أما هو في نفسه لا يملك صلوات الله وسلامه عليه ، وهاهو الحديث في صحيح البخاري في غزوة أحد وأعداؤه جاءوا إلى المدينة ، وسميت غزوة أحد نسبة إلى جبل أحد الذي يقع شمال المدينة ، جاء الأعداء إلى المدينة وخرج هو وأصحابه عليه الصلاة والسلام لقتالهم لكن لا يملك النصر ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٢٦] ، ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧] ، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر:٥١] النصر من عند الله لا يملك عليه الصلاة والسلام نصراً لنفسه ولا يملك أيضا نصراً لغيره .

فشُج عليه الصلاة والسلام يوم أحد وكسرت رباعيته وأخذ يسلُت الدم ؛ اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه . أخذ يسلت الدم صلى الله عليه وسلم عن وجهه ويقول : «**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم**» ؟ أي كيف ينال قومٌ وصل بهم التعدي والظلم إلى أن شجوا نبيهم الذي يدعوهم لعبادة الله ، يدعوهم إلى الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة ؛كيف يفلحون إذا كان بلغ بهم التعدي والظلم والبغي إلى أن شجوا نبيهم ؟!

يقول: ((**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم**)) فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ؛كونهم يفلحون أو لا يفلحون ، يهتدون أو لا يهتدون ، يسعدون أو لا يسعدون ؛ هذا أمره بيد الله سبحانه وتعالى ليس لك من الأمر شيء ، أمر فلاحهم أو أمر نجاتهم أو أمر سعادتهم هذا ليس لك منه أي شيء ، أمره لله وحده .

وستسمع فيما يأتي في هذا الأمر عجب من أبين البيان أن الأمر كله بيد الله ، وأنه صلوات الله وسلامه عليه لا يملك شيئا .

قال : ((**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم**)) **فأنزل الله : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾** و«شيء» جاءت نكرة في هذا السياق لتفيد العموم ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أي : أيَّ شيء ، الأمر كله لله ؛ يعطي ويمنع ، يخفض ويرفع ، يقبض ويبسط ، يعز ويذل ، يُضحك ويبكي ، يُغني ويفقر ، يحيي ويميت ، الأمر كله بيد الله سبحانه وتعالى ، ليس لك من الأمر شيء .

ومر معنا حرصه عليه الصلاة والسلام الشديد على هداية عمه أبي طالب ، وعمه أبو طالب هو ذلك الرجل الذي كفله من سن الثامنة للهجرة إلى ما بعد النبوة بأكثر من ثمان سنوات ، أي أكثر من أربعين سنة وهو يرعى النبي عليه الصلاة والسلام ويكفل النبي عليه الصلاة والسلام وينصره ويؤازره ويعاونه ويصد عنه ، وكان له في قلب النبي صلى الله عليه وسلم محبة طبيعية ليست محبة شرعية ، وله مكانة في نفس النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان حريصا على هداية عمه ، حريصاً على أن يهتدي عمه ، ولما حضرت عمه الوفاة جاء النبي عليه الصلاة والسلام وكان عنده عبد الله ابن أبي أمية وعنده أبو جهل وقال : ((يا عم قل لا إله إلا الله)) وتنبه هنا أن هذا الخطاب في هذه اللحظات الحرجة واللحظات الأخيرة من عمر عمه وهو عليه الصلاة والسلام يذكر ذلك العمر الطويل من عمه نصرةً ومؤازرةً ومعاونة ((يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله)) وفي رواية في الصحيح ((أشهد لك بها عند الله)) وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يقولان له : بل على ملة عبد المطلب ، فيعيد النبي عليه الصلاة والسلام ((يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، أشهد لك بها عند الله)) فيقولان : بل على ملة عبد المطلب ، ومات وهو يقول هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول «لا إله إلا الله» . الأمر كما قال الله جل وعلا ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ . الهداية والضلال ، الحياة والموت ، الغنى والفقر ، الصحة والمرض ، العز والذل ، العطاء والمنع ، الخفض والرفع ،كله بيد الله سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى:٤٨] . حزن عليه الصلاة والسلام وحلف يمين بالله ،ماذا قال عليه الصلاة والسلام ؟ ((أما والله لأستغفرن لك)) يذكر التاريخ ويذكر الأمور العظيمة التي قدَّمها له قال : ((أما والله لأستغفرن لك ما لم أنْهَ عن ذلك)) فأنزل الله تعالى قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣] فترك النبي عليه الصلاة والسلام ذلك ، حلف قال ((أما والله)) والحديث في الصحيح ((أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك )) أي ما لم يأتني نهي عن ذلك ، وجاء النهي ، ثم أنزل الله تبارك وتعالى تسلية لنبيه عليه الصلاة والسلام قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي

مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ يعني من أحببت هدايته لا تملك ذلك ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[القصص:٥٦] ، مثلها قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[البقرة:٢٧٢] ومثلها قوله: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف:١٠٣] يعني ولو اشتد حرصك وعظمت رغبتك في أن يهتدوا الأمر لله سبحانه وتعالى .

هنا تأمل النبي عليه الصلاة والسلام حريص أشد الحرص على هداية عمه! والله سبحانه وتعالى له الأمر من قبل ومن بعد لم يكتب له الهداية ؛ فمات على غير الإسلام ونزل قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ، وسيأتي عكس ذلك : أقوام اشتد أذاهم على النبي عليه الصلاة والسلام واشتد عدوانهم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه؛ فصلى وأخذ يقنت في صلاة الفجر ويسميهم بأسمائهم – وسيأتي معنا – يسأل الله في صلاة الفجر والصحابة من خلفه يقولون آمين يؤمّنون يسأل الله أن يطردهم من رحمته ((اللهم العن فلان والعن فلان والعن فلان)) يسميهم بأسمائهم صلوات الله وسلامه عليه ، وهؤلاء الذين سماهم أسمائهم ودعا عليهم في صلاة الفجر والصحابة يؤمّنون ويقول في دعاءه ((اللهم العن فلان والعن فلان والعن فلان)) كتب الله لهم تبارك وتعالى الإسلام ، الأمر لله سبحانه وتعالى من قبل ومن بعد . النبي وهو النبي وهو أفضل عباد الله وسيد ولد آدم وإمام المتقين لا يملك شيئاً ، الأمر لله ، أنزل الله عليه ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ، وهل أبين من هذا البيان؛ كلام الله سبحانه وتعالى ؟!

ولا يزال المصنف رحمه الله تعالى يسوق من الأحاديث في هذا المعنى وتقريره ؛ فذكر حديث أنس ثم أتبعه بحديث ابن عمر .

**وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : «اللهم العن فلانا وفلانا» بعدما يقول : «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد» فأنزل الله : {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} . وفي رواية : «يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام» فنزلت : { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } .**

**********

قال ((وفيه)) أي في الصحيح ((**عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : «اللهم العن فلانا وفلانا» بعدما يقول : «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد»** )) ؛ هذا قنوت وهو في النوازل ، ولما نزلت بهم صلوات الله وسلامه عليه تلك النازلة واشتد ذلك الأذى من المشركين أخذ يقنُت عليه الصلاة والسلام في صلاة الفجر ويسمي أشخاصاً بأسمائهم من رؤوس المشركين ، سماهم لأن أذاهم زاد وشرهم طغى وعظم عدوانهم على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذ يسميهم عليه الصلاة والسلام بأسمائهم .

قال –كما جاء في رواية– «**يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام**» ؛ هؤلاء الثلاثة بالأسماء سماهم في صلاة الفجر عليه الصلاة والسلام يدعو عليهم يقول: ((اللهم العن فلانا والعن فلانا والعن فلانا)) يسميهم بأسمائهم ، وخلفه الصحابة رضي الله عنهم خيار هذه الأمة وأفضلها يقولون آمين ، يؤمّنون ، وينزل على النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أي الأمر كله لله ، ليس لك من الأمر شيء في الناس ومآلاتهم وبقائهم على الكفر أو دخولهم في

الإسلام ، اهتدائهم أو عدم اهتدائهم ؛ هذا كله ليس لك من الأمر فيه أي شيء ، أنزل تبارك وتعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾

قال : **وفي رواية «يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾»** ؛ وهؤلاء الثلاثة جميعهم أسلموا ، كتب الله تبارك وتعالى لهم الهداية وشرح صدورهم للإسلام. مر معنا قريبا الإشارة إلى قصة الذين أهدر النبي عليه الصلاة والسلام دمهم لما دخل مكة عام الفتح، لماذا أهدر دمهم ؟ لأن أذاهم اشتد وصار من أعظم الأذى؛ فأهدر عليه الصلاة والسلام دمهم قال: ((من وجدتموه منهم فاقتلوه ولو كان متعلقا بأستار الكعبة)) لشدة الأذى ، بعض هؤلاء كتب الله لهم الهداية وأسلموا وحسُن إسلامهم، منهم كما أشرنا سابقا عكرمة بن أبي جهل ، وجاء للنبي عليه الصلاة والسلام وبايعه على الإسلام في قصة عظيمة جدا في تقرير التوحيد ، لأنه لما بلغه الأمر فرَّ من مكة وركب البحر ، ولما كانوا في السفينة أدركهم الغرق وعاينوا الموت فقال أهل السفينة للركاب لمن هم على السفينة : «أخلِصوا لا ينجِّيكم في هذا المقام إلا الإخلاص» عايَنوا الموت شاهَدوا الغرق فملاك السفينة قالوا لهم : أخلصوا لا ينجيكم في هذا المقام إلا الإخلاص ، قال عكرمة : «لئن كان لا ينجينا في هذا المقام إلا الإخلاص فلا ينجينا في أي مكان إلا الإخلاص ، لله عليَّ عهد إن نجاني الله من هذه لأذهبن إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولأضعن يدي في يده ولأبايعنَّه على الإسلام ولأجدنَّه عفواً كريما» ، وفعلاً نجَّاه الله وجاء إلى المدينة يتسلل ، لأن أي شخص سيراه يقتله مباشرة ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أهدر دمه ، فجاء متخفياً إلى أن وصل إلى النبي عليه الصلاة والسلام وبايعه على الإسلام ، وعاهد النبي عليه الصلاة والسلام أنه في كل موقف وقفه ضد الإسلام سيقف مثله وأعظم نصرةً للإسلام ، ومات شهيداً في سبيل الله . الأمر لله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ؛ فهذا كله من براهين التوحيد .

إذا كان هذا يقال في سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه إمام الأولين والآخرين ويُنزل الله عليه ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ !! مشكلة كثير من الناس أنه لا يقرأ سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وإنما تأتيه الأمور هكذا جزافاً من هنا وهناك ويأتي بها خبط عشواء وربما يبني على روايات وأخبار منكرة ثم يتلوَّث بالباطل والضلال والتعلق بغير الله تبارك وتعالى ، لكن لما يقرأ السيرة الناصعة والهدي المبارك الذي كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام فإن السيرة كلها تعلِّم التوحيد وتقرر التوحيد وتبطل الشرك ، عندما تقرأ مغازي النبي عليه الصلاة والسلام، والله المغازي بحد ذاتها مدرسة في التوحيد وتقريره وبيانه ووجوب إخلاص الدين لله سبحانه وتعالى والبراءة من الشرك كله دقيقه وجليله وصغيره وكبيره .

ولا يزال المصنف رحمه الله تعالى يسوق الروايات فيما يتعلق بهذا المقام العظيم .

**وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه : {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}**[الشعراء:٢١٤] **فقال : «يا معشر قريش– أو كلمة نحوها– اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا»**

**********

وهذا الحديث وهو في الصحيح حديث أبي هريرة رضي الله عنه هو أيضاً في تقرير المعنى نفسه؛ ألا وهو : أن النبي عليه الصلاة والسلام مع علو مقامه ورفعة مكانته وأنه سيد ولد آدم وأفضل عباد الله وأعلاهم مكاناً ومنزلةً عند الله تبارك وتعالى لا يملك من الأمر شيئاً .

فجاء في الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام حين أنزل عليه : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] وهذه نذارة خاصة ، وأيضاً أُمر بالنذارة العامة ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ [إبراهيم:٤٤] ، فأُمر بنذارة عامة لعموم الناس وأمر أيضاً بنذارة خاصة للأقربين .

فقام عليه الصلاة والسلام ممتثلا أمر ربه وقال : ((**يا معشر قريش أو كلمة نحوها**- يناديهم - **اشتروا أنفسكم**)) أي خلِّصوا أنفسكم أنقذوها من النار من سخط الله تبارك وتعالى .((**اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا**)) «شيئا» جاءت نكرة في سياق النفي فتفيد العموم لا أغني عنكم من الله شيئاً .

((**يا عباس**)) عمَّم وخصص عليه الصلاة والسلام ، عمم ثم خصص ((**يا عباس ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت**)) اطلبي مني من المال الذي أملكه ما شئتِ ((**لا أغني عنك من الله شيئا**)).

وهل أوضح من هذا الواضح ؟ وهل أبين من هذا البيِّن ؟ يخاطب عليه الصلاة والسلام بهذا الخطاب ناصحا ومحذرا قرابته بما فيهم بنته صلوات الله وسلامه عليه ورضي الله عنها وعن الصحابة أجمعين يقول «لا أغني عنكم من الله شيئا»!!.

وجاء في صحيح البخاري أنه عليه الصلاة والسلام ذكر الغلول وعظَّم أمره وقال : ((لا يأتين أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته بعير - يعني أخذه ظلماً - ويقول يا محمد أنقذني فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك)) ثم ذكر : لا يأتين أحدكم على رقبته بقرة ، على رقبته شاة ، على رقبته خيل ، على رقبته رقاع تخفق ، على رقبته صامت -أي ذهب وفضة- في خطبة عظيمة خطبها عليه الصلاة والسلام وفي كل ذلك يقول : ((لا أملك لك شيئا قد أبلغتك)) وهذا مصداق قوله ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى:٤٨] ، لكن الأمر بيد الله سبحانه وتعالى ، لله الأمر من قبل ومن بعد .

من أعظم العبر والعظات الموقظات للقلوب في هذا الباب ما جاء في صحيح البخاري : أن إبراهيم الخليل يلقى أباه يوم القيامة - انتبه للموقف فيه عبرة عظيمة جداً - إبراهيم الخليل يلقى أباه يوم القيامة فيقول له : ألم أقل لك لا تعصني ؟ يعني في الدنيا ألم أكن حذرتك وأنذرتك ؟ ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول الآن لا أعصيك ، هل تفيد هذه الكلمة !! فيقول إبراهيم الخليل خليل الرحمن عليه صلوات الله وسلامه مناجياً رب العالمين: ألم تعِدني ألا تخزني يوم يبعثون ؟ وأيُّ خزي أخزى من أبي الأبعد!! فيقول الله له : «إني حرمت الجنة على الكافرين» ، ثم يقال له انظر فينظر فإذا بذيخ ملطَّخ بدمه تحولت هيئة والده إلى هيئة ذيخ ، والذيخ: هو ذكر الضباع ، ثم أخذ بقوائمه وألقي في النار ، وهذا مصداق قول الله تبارك وتعالى في آخر سورة الانفطار ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)﴾ الأمر لله سبحانه وتعالى من قبل ومن بعد .

قد يقول قائل : والشفاعة ؟! الشفاعة مقام عظيم ومكان رفيع وسيأتي لها عند المصنف باب من أعظم الأبواب وأنفعها في تقرير الحق وبيانه بدلائله الواضحات؛ دون شطط أهل الضلال وانحراف أهل الباطل الذين تحت مسمى «الشفاعة» أخذوا يدعون

غير الله ويستغيثون بغير الله ويلتجئون إلى غير الله ويقولون هؤلاء شفعاء لنا عند الله ، فصار أمرهم كأمر من قال الله عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس:١٨] . وسيأتي عند المصنف رحمه الله تعالى باب عظيم جدًا بعنوان «باب الشفاعة» يقرر الأمر تقريراً واضحًا بالحجج والدلائل من كلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

قال رحمه الله :

**فيه مسائل ؛ الأولى : تفسير الآيتين .**

تفسير الآيتين: أي قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢] ، والآية التي تليها وهي قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣] ، وقد مر معنا شيء من تفسير الآيتين .

**الثانية : قصة أحد .**

أي قصة معركة أحد ، وتُنسب المعركة لأحد وهو جبل شمال المدينة لأن المعركة وقعت على مقربة منه ، وهي قصة عجيبة ، ومن يقرأ تلك القصة والنِّزال الذي كان بين المسلمين وبين الكفار والتجاء المسلمين إلى الله وفزعهم إليه ودعاءهم إياه وتلك الآيات التي جاءت في تقرير أن النصر إنما هو من عند الله تبارك وتعالى، من يقرأ هذه القصة يتعلم منها توحيد الله سبحانه ووجوب إخلاص الدين له .

**الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمّنون في الصلاة .**

القنوت : دعاء والتجاء وابتهال إلى الله ، ويكون في النوازل والشدائد العظام التي تنزل بالمسلمين ؛ فقنوت سيد المرسلين انتبه يقول «قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء» يعني يفزعون إلى الله ويضرعون إلى الله ويلحُّون على الله سبحانه وتعالى ويمدون يدي الدعاء إلى الله ، إذاً لا يملكون شيئا ، لا يملكون نصراً ولا يملكون شيئاً الأمر بيد الله سبحانه وتعالى ، إذاً قنوتهم هذا دليل على افتقارهم إلى الله وأنهم عبيد فقراء إلى الله سبحانه وتعالى لا يملكون من الأمر شيئاً ، وأن الأمر إنما هو بيد الله سبحانه وتعالى .

**الرابعة : أن المدعو عليهم كفار .**

أي في ذلك القنوت الذي قنته النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة يؤمّنون المدعو عليهم كفار ، وسمى بعضهم بأسمائهم ممن اشتد أذاهم من رؤوس الكفار وكبار المشركين سماهم أسمائهم ويدعو عليهم . إذاً لا يملك شيئاً في صد أولئك أو منع أولئك أو الحيلولة بينهم وبين ما يريدون من أذى المسلمين لا يملك شيئا ، ولهذا فزع عليه الصلاة والسلام إلى الله ملتجئاً إليه سبحانه وتعالى .

**الخامسة : أنهم فعلوا أشياء لا يفعلها غالب الكفار ، منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم .**

أي أن هؤلاء إضافةً إلى أنهم كفار حصل منهم أمور عظيمة جداً لم يفعلها غالب الكفار ؛ مثل أنهم شجوا نبيهم، وأيضاً كسروا رباعيته ، وحرصوا على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى ؛مع أنهم بنو عم !! فكل هذه المعاني توضِّح شدة الأذى الذي حصل من أولئك وما كان عليه الصلاة والسلام يملك إلا الفزع إلى الله واللجوء إلى الله والطلب من الله سبحانه وتعالى بالقنوت الذي كان منه صلوات الله وسلامه عليه .

**السادسة : أنزل الله عليه في ذلك : { لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ } .**

استحضر الآن المعاني السابقة التي ذكرها ، لأنه أخذ يوطئ بالمسائل السابقة لهذه المسألة العظيمة ؛ فاستحضر المسائل السابقة ؛ الذي كان يدعو سيد الأولين والآخرين ، والذين يؤمِّنون خلفه سادات الأولياء ، والذين يُدعى عليهم كفار ، إضافة إلى ذلك فعلوا أمورًا من الأذى والبغي والظلم ما فعلها غالب الكفار والمشركين ، من ذلكم أنهم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته ومثَّلوا ببعض الصحابة ، فكان يقنت ويدعو الله سبحانه وتعالى أن يلعنهم أن يطردهم من رحمته –اللعن: هو الطرد والإبعاد من الرحمة– فأنزل الله تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ يعني الأمر لله من قبل ومن بعد ، ومن أعظم ما يكون في هذا الباب أن هؤلاء الذين سماهم بأسمائهم والصحابة يؤمِّنون كتب الله تبارك وتعالى لهم الإسلام .

**السابعة : قوله { أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ } فتاب عليهم وآمنوا .**

أي الأمر لله سبحانه وتعالى؛ إن شاء جل في علاه أن يتوب عليهم ، وإن شاء أن يعذبهم ، الأمر له من قبل ومن بعد ، لكن الله كتب لهم التوبة ومنَّ عليهم بالهداية فتاب عليهم فآمنوا ؛ أي أولئك النفر الذين كان قد سماهم عليه الصلاة والسلام بأسمائهم في دعائه عليهم .

**الثامنة : القنوت في النوازل .**

أي مشروعية القنوت في النوازل ، والقنوت في النوازل: هو الدعاء على الأعداء بأن يكف الله عز وجل بأسهم . القنوت : هو استنصار ، طلب النصر من الله تبارك وتعالى على الأعداء وأن الله يكف بأسهم وأن الله يقي المسلمين شرهم ؛ فهو مشروعٌ في النوازل .

**التاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .**

أي جواز ذلك ومشروعيته ، عندما يكون من أشخاص وأفراد أذىً شديد وعدوان عظيم وضرر بالغ في حق المسلمين لا مانع أن يسمَّى أولئك بأسمائهم .

**العاشرة : لعن المعيَّن في القنوت .**

أي كما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في حديث ابن عمر ((اللهم العن فلانا وفلانا)) ؛ فهذا لعن لمعيَّن في القنوت ، أي يسمي أشخاصاً بأسمائهم ويلعنهم كما جاء عنه في هذا الحديث .

**الحادية عشرة : قصته صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } .**

قصته عليه الصلاة والسلام لما نزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أنه امتثل كما مر معنا أمْر الله سبحانه وتعالى ، وعمَّم وخصص قال : ((يا معشر قريش)) ثم خصص العم ((يا عباس بن عبد المطلب)) ، و((يا صفية عمة رسول الله)) ، و((يا فاطمة بنت محمد )) كلهم يقول ((لا أملك الكم من الله شيئا)) فأمره الله سبحانه وتعالى بأن ينذرهم فأنذرهم ، والذي يملكه النذارة والبلاغ والبيان والنصح والدلالة ، أما الهداية والنجاة من عذاب الله وسخطه فهذا أمره كله لله سبحانه وتعالى .

**الثانية عشرة : جِدُّه صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن .**

المسألة الثانية عشرة : جِدُّه أي اجتهاده صلى الله عليه وسلم وعنايته الدقيقة بالقيام بهذا الأمر ممتثلاً ما أمره الله سبحانه وتعالى به ، وأخذ ينادي ويجمع الناس حتى اجتمعوا حوله صلوات الله وسلامه عليه ثم أخذ ينذرهم هذه النذارة معمماً قريش ثم مخصصاً قرابته ((اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا)) .

يقول «بحيث فعل ما نُسب بسببه إلى الجنون» ؛ أخذ الكفار يطعنون فيه ويصفونه بهذا الوصف ويلقبونه بهذا اللقب ، بل إن التلقيب بهذا اللقب أصبح هو الشائع في فجاج مكة، وكل من يدخل من الغرباء حتى لا يذهب إلى النبي أو حتى لا يستمع إلى شيء مما يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يتحيَّنون كل من يأتي من الغرباء ويقولون "إن محمداً مجنون" ، بحيث لا يُقبل عليه ولا يحرص على سماع شيء منه .

ومن لطائف القصص في هذا المقام ما جاء في صحيح مسلم عندما دخل ضمام الأزدي وهو سيد قومه دخل مكة وسمعهم يقولون "إن محمداً مجنون" ويرددونها في طرقات مكة ، فقال : «إنني رجل قارئ -يعني أقرأ على المصابين بالصرع والجنون- إنني رجل قارئ لئن لقيت محمدا لأقرأن عليه لعله يُشفى على يدي» ، فأصبح حريصاً على أن يراه من أجل أن يقرأ عليه والحديث في صحيح مسلم ، فلقيه وقال له : «إنني رجل قارئ فهل لك أن أقرأ عليك ؟» يقول للنبي عليه الصلاة والسلام إنني رجل قارئ فهل أقرأ عليك ؟ لأنه يسمع كل من حوله "محمد مجنون محمد مجنون " فقال تحب أن أقرأ عليك ؟ يعني لعلك تشفى ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : ((إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله )) قال: أعد عليَّ كلامك هذا ، رجل يفهم الكلام قال أعد عليَّ كلامك هذا ، فأعاده عليه الصلاة والسلام ، قال : «سمعت كلام المجانين ما هذا كلامهم ، وسمعت كلام الشعراء ما هذا كلامهم ، سمعت كلام الكهان ما هذا كلامهم ، ووالله إن كلامك هذا بلغ قاموس البحر» يعني دخل في الصميم ، أعطني يدك أبايعك على الإسلام ، قال : ((عنك وعن قومك؟)) قال عني وعن قومي فبايعه على الإسلام .

الشاهد أن المشركين كانوا يصدون عنه عليه الصلاة والسلام ويقولون مجنون إلى آخره ؛ فيقول المصنف : «وكذلك لو يفعله مسلم الآن» ؛ أرأيتم لو أن شخصاً من دعاة التوحيد ذهب إلى منطقة ملوثة بالشركيات والعبادات الشركية والتعلقات بغير الله وبيَّن لهم أن هذه التعلقات باطلة أي شيء سيقولون عنه ؟ سيقولون "هذا مجنون، وهذا ما يفهم وهذا ما يعرف قدر الأولياء ومكانة الصالحين وأنهم وأنهم ، وما سمع الأخبار التي سمعناها والقصص الذي عرفناه" فسيقولون مثل ذلك الكلام ، وفعلاً الدعاة إلى الله دعاة التوحيد ودعاة الحق دائما تُلصق فيهم مثل هذه التهم ونحوها وقريباً منها صداً عن الحق .

**الثالثة عشرة : قوله للأبعد والأقرب : «لا أغني عنك من الله شيئا» ، حتى قال : «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا» . فإذا صرَّح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم تبين له ترك التوحيد وغربة الدين .**

هذه المسألة الثالثة عشرة وهي خاتمة المسائل استنبطها رحمه الله تعالى من قول النبي صلى الله عليه وسلم للأقرب والأبعد : ((لا أغني عنكم من الله شيئا)) ، حتى قال : ((يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا)) ، فيقول رحمه الله : «إذا صرَّح وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين بنته رضي الله عنها ، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق» عندما قال عليه الصلاة والسلام لبنته ((لا أغني عنك من الله شيئا)) هو صلوات الله وسلامه عليه لا يقول إلا الحق ، فإذا فهم ذلك وعرفه ثم نظر في واقع الناس وخواص الناس اليوم هل فهموا هذا المعنى؟ وهل عرفوا هذا التوحيد أم أنهم تركوه وأصبحوا في تعلقات باطلة ؟ ولاسيما عندما يصاب بعضهم بفقر أو بمرض أو بمشكلة من المشكلات تجده بحكايات من حوله وقصص من حوله يفزع إلى المقبورين ويلتجئ إلى الأموات استغاثةً ودعاءً ورجاءً إلى غير ذلك ؛ أين هؤلاء من فهم التوحيد الذي دعا إليه إمام الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه!! .

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .